ادبيات

وصل الى قطرنا في هذه الايام عز تلو الكاتب المجيد والشاعر الرقيق المبدع قسطاكي بك حمصي صاحب الموشحات الرائقة والفصول الشائقة فالتمسنا شيئاً من نفثات قلمه لنزين هذه المجلة بها فدفع الينا قصيدة كانت معه وهي بعنوان « الاناء المكسور » وقد ترجمها عن اللغة الفرنسوية للشاعر الفرنسوي البليغ سولي برودوم وهي التي يقول فيها الكاتب المشهور جول لوميتر انها سبب دخوله في عداد اعضاء مجمع العلماء في باريز وقد تلقيناها من جنابه شاكرين فضله مثنين على ادبه وهي

ان اناء الوردة الـ ـتي برتها الغيرُ
لقد غدا منصدعاً وصدعهُ لا يجبرُ
اصيبَ من مروحة بلكمة لا تذكر
فقصمته دون ان تحدث صوتاً ينذر

* * *

وذلك القصم وان لم يبدُ منه اثرُ
عضَّ على البلور يفـ ـريه وليس ينظرُ
ولم يزل على ازديا دكل يوم ينشر
حتى استدار حوله وحاله مستترُ

* * *

فقاض ماؤه الذي قد ظلَّ حيناً يقطرُ
وكان يحوى جوهراً به النبات يزهرُ
وليس من يدري بما اصابه او يشعر
اياكم ولمسه فانه منكسر

* * *

كم من يد محبوبة تفعل ما لا يشكرُ
تخدش قلب عاشق بكلمة تكدر
فينثني وقلبه من فعلها منفطر
قد ذبلت زهرة حبه فليس تنضر

* * *

وهو لاعين الملا مثل سليم يظهرُ
يشعر بالنزع وسراً عينه تستعبر
الجرح يا قوم عميق ودقيق فاحذروا
اياكم ولمسه فانه ينفجر

وقد اطلعنا جنابه ايضاً على تقريظ كان نظمه لنجعة الرائد تأليف جناب علامتنا اليازجي الشيخ ابرهيم صاحب الضياء الاغر فاخترنا نشره ايضاً زيادة في الدلالة على عظم ذاك السفر الجليل وعلى فضل هذا الشاعر المجيد قال حفظه الله

عوذتُ بالله امام العصر علامة الدنيا قريع الدهر
اليازجيّ الشيخ ربّ النثر من حاسد وحاقد ذي مكر

فاي بحر من بحور الشعر ... لما يغص فيه للقط الدرر
واي علم ليس فيه يجري ... جري كريم سابق في الكر
واي لفظ كالنجوم الزهر ... لم يك طوع نهيه والامر
انشاؤه الفائق كل حزر ... زري على البديع والمعري
كأن ماء اللطف فيه يسري ... او انه نسيم عرف الزهر
او الامام من شعاع الفجر ... صاغ عقوداً تزدري بالتبر
في كل قول وبكل سطر ... كم آية يوحي وكم من سر
يقول من يذوق اي خمر ... يدير ابرهيم دون وزر
قد تركت اهل النهى في سكر ... وضمخت افواههم بالعطر
فاي در ليس في ذا البحر ... واي فضل ليس في ذا الحبر
واي معنى من معاني السحر ... يندُّ عن استاذنا بالحصر
ان يرفع الملوك قصد الفخر ... مدينة او معلماً للنصر
او يجمعوا لمجدهم في قصر ... زينة كل بلدة وقطر
او ينعموا يوماً على ذي فقر ... بنعمة قصد الثنا والشكر
فانما الاستاذ قصد الاجر ... وبغية النفع الجزيل البر
بنى لاهل الفضل اغنى مصر ... في نجعة الرائد عدن الدر
بل جمع الدنيا لهم في سفر ... اضحى محيط بحرها والبر
مع جوها الى النجوم الزهر ... الى اقاصي ما جرى في فكر
فهو كتاب ما له من نظر ... وما له طيٌّ ليوم النشر
يبقي لقطب العلم فخر العصر ... ذكراً مجيداً يا له من ذكر
ووصفه فوق اقتدار قدري ... ومدحه فوق مقام شعري

فالله يوليه مديد العمر فهو لاهل الفضل خير ذخر

* * *

مما يقوله الانكليز ان الافلاس صاحب الشعر كما يقول العرب عن العلم بجملته انه مقرون بالافلاس ولكن يظهر ان هذا القول قديم عندهم وغير صادق فيهم الان لان كثيرين من مشاهير شعرائهم وكتابهم يربحون الالوف وبنون القصور من البيوت . الا ان الذي يظهر من حال اميركا ان الشعر فيها اغلى قيمة واربح متجراً ولا سيما اذا كان شعر نساء فقد رووا عن سيدة شاعرة هناك انها قد صارت من الاغنياء لكثرة ما تأخذ من الاجرة الغالية على منظوماتها الرقيقة التي يفهمها العوام ويسرون لها وقد ذكرت شأنها احدى الصحف الانكليزية وذكرت لها بعض القصائد العامية فوجدنا فيها قصيدة عربناها ببعض تصرف للدلالة على سائر شعرها وهي

اضحك فيضحك من يراكا واحزن فلا تلقى سواكا
والارض قد كفيت من الحز ن القديم وما كفاكا
اطرب وغنّ يجب صداك وان تنح يسكت صداكا
البشر تفهمه الربى فتعيده هذا بذاكا
الناس تقبل ان فرحت وان حزنت بدت وراكا
وهم يحبون السرور فلا تعرّفهم بلاكا
هم اصدقاؤك ان سررت فان جزعت غدوا عداكا
هم ينفعونك في حياتك لست تنفع في رداكا

الا انه مما يذكر عن هذه القصيدة انها كانت اول قصيدة نشرتها لها جريدة وكانت الاجرة عليها جنيهاً واحداً فقط وهو اول ما كسبته من

قريضها وقد ذكرنا ذلك بقصيدة المتنبي الدينارية التي يمدح بها ابن الحاجب ويقول في مطلعها

بابي الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلابيا

فانه اجيز عليها بدينار واحد فقط حتى كأنه اعدى هذه السيدة فنالت على قصيدتها ديناراً واحداً مثله . ولعل المتنبي لم يعط هذا المقدر الا فرط ما وصف به نفسه من الفقر فيها لانه يقول في اثنائها

اظمتني الدنيا فلما جئتها مستسقياً مطرت عليّ مصائبها
وحبيت من خوص الركاب باسود من دارش فغدوت امشي راكبا

ويظهر ان الممدوح رأى الدينار مما يبدو كبيراً في عيني معدم كهذا فاجازه به . فعلى شعرائنا الحاضرين (ان كان لهم من الشعر رزق بطريق المدح) ان لا يذكروا خصاصتهم لممدوح لئلا يصيبهم ما اصاب المتنبي بل ليفخروا وليتكبروا احياناً كما كان يفعل البحتري وينال الجوائز السنية فانه يقول

غلّ شعري غلاه ان بالدون واشباهه يباع لدون

ويقول متهدداً وقد استبطأ ممدوحه

ابا جعفر والمجد رهن مآثر تؤثلها او عارفات تنيلها
وصلت بك الحاجات جمعاً وانما بطول جليل القوم يقضى جليلها
وارسلت افواف القوافي شوافعاً اليك وقد يجدي لديك رسولها
زواهر نور ما يجف جنيها وانجم ليل ما يخاف افولها
وما بصواب ان يؤخر حظها وقد سبقت اوضاحها وحجولها

اذا ما البزاة البيض لم تسق ريها على ساعة الاحسان خيف نكولها

فانه على كونه في حد المستجدي قد جعل نفسه في حد المتهدد بالهجو اذا لم يعط حقيقة اجرته . وانه لا غرو ان يكون كذلك وهو الذي يقول لفرط كبريائه مع فقره

اعتد عدمي للكرام وخلتي شرفاً اتيح لهم وفخراً قيضا

وهو الذي يقول ايضاً

فاضل بين الاخوان عدمي وعن ظلماء ليل تفاضلت شهبه

وله من مثل هذا شيء كثير خرج به عن حد السائل المعدم الى حد المنعم المتفضل واين هو من ابن الرومي الذي قال عنه صاحب زهر الاداب انه ما رأى احداً ضرع لممدوحه مثل ضراعته لابي الصقر في مدائحه ولاسيما قصيدته الحائية التي يقول في جملتها

عقيد الندى اطلق مدائح جمة حبائس حسرى قد ابت ان تسرحا
وكنت متى تنشد مديحاً ظلمته يرى لك اهجى ما يرى لك امدحا
عذرتك لو كانت سماء تقشعت سحائبها او كان روض تصوحا

وهي طويلة وقد اجاد فيها ولكنه ملأها بالاستجداء المعيب . والذي يظهر ان الوليد كان اوفر منه حيلة في نيل جوائز ابن الصقر لانه مدحه مثله وكان ادرى منه بالجوانب التي يؤخذ بها والارجح انه كان يمت اليه بنسب فيمتاز عن سواه كما يظهر من قوله

اعمرو بن شيبان وشيبانكم ابي اذا نسبت امي وعمروكم عمروي
متى لا تسدوا خلتي لا تصبكم شذاتي ولا يسلك سوى نهجه شعري

* * *